

أسباب الوقوع في المعاصي وسبل تجنبها



«(.. وَكَرِهَ إِذْ لَيْدِكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ...) (الحجرات / 7).

لا يخلو ابن آدم من معصية مهما يكن صلاحه، فقد ورد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "كل بني آدم خَطَّاءٌ، وخير الخطائين التوابون" صحيح الألباني. فإذا أخطأ الإنسان وقارف معصية من المعاصي، فعليه أن يعرف أن باب التوبة مفتوح وأن الإقلام عن المعصية والتوبة منها أمر واجب. قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ...) (هود/ 112)، ويوجه رسول الله ﷺ المسلمين بقوله: "قل آمنت بالله ثم استقم" صحيح الألباني. والاستقامة تتمثل في ابتعاد المسلم عن المعصية في كل أمر يُقدم عليه. أن المعصية هي كل أمر مخالف للشريعة الإسلامية من الأقوال والأعمال الظاهرة أو الباطنة، سواء أكان بفعل المحظورات أم ترك الفرائض والواجبات في الكتاب والسنة وكل ما أتى به محمد (ص). ونظراً لخطورة عاقبة المعصية مهما يكن نوعها، كان لابد من تنبيه المسلم إلى أن لا يستهين بأمر المعصية، وأن يجتهد في سبل تجنبها والوقاية منها، وأن يبادر إلى التوبة منها في حال الوقوع فيها. - أسباب الوقوع في المعاصي: هناك أسباب لا حصر لها تجعل الإنسان عرضة للوقوع في المعاصي. ومن جملة تلك الأسباب التي يجب الاحتراز منها، ضعف الوازع الديني وعدم الالتزام بالصلاة والاستهانة بأمرها، وهي عمود الدين من أقامها أقام الدين وهي التي تنهي عن الفحشاء والمنكر. ومن أسباب الوقوع في المعصية أيضاً إهمال الأهل تربية أبنائهم وبناتهم وعدم الانتباه لهم، وترك العمل بقول

ذلك، علماً بأنهم كانوا كفاراً ثم دخلوا في الإسلام ثم رجعوا إلى الكفر ثم دخلوا الإسلام. وقبل الصحابة كلهم منهم التوبة، على الرغم من أن الذي فعله المرتدون هو شر من الذي يفعله العاصي المسلم، فقبول التوبة من المسلم العاصي، ولو كانت متكررة، أولى من قبول توبة الكافر مرة بعد مرة. ولكن هذا بشرط أن تكون التوبة الأولى وما بعدها توبةً نصوحاً صادقة من قلب صادق، وألا تكون مجرد تظاهر بذلك. وهذا الكلام لا يفهم منه أنه تشجيع على المعاصي وارتكابها مرة بعد مرة، ولا أن يجعل المسلم رحمة الله تعالى وتوبة الله تعالى عليه سُلماً للمعاصي، لا. إنما نريد أن نشجع العاصي على التوبة مرة بعد مرة، فالقصد هو أن يطمئن قلب المسلم الذي يريد أن يرجع إلى الله تعالى بأن باب الرحمن مفتوح، وأن عفو الله سبحانه وتعالى أكبر من معصيتك، فلا تيأس من رحمة الله تعالى وعُد إليه. قال الحافظ بن رجب الحنبلي: روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عليّ، قال: "خياركم كل مفتن تواب". يعني كلما فُتن بالدنيا تاب. قيل: فإذا عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب. قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب. قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب. قيل: حتى متى؟ قال: حتى يكون الشيطان هو المحسور". وقيل للحسن: ألا يستحيي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود؟ فقال: ودَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذا، فلا تملوا من الاستغفار. وروي عنه أنه قال: ما أرى هذا إلا من أخلاق المؤمنين. يعني أن المؤمن كلما أذنب تاب. وقال عمر بن عبدالعزيز في خطبة له: أيها الناس من ألمَّ بذنب فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال وإن الهلاك في الإصرار عليها. ومعنى هذا أن العبد لا بدَّ أن يفعل ما قُدر عليه من الذنوب كما قال النبي (ص): "إنَّ الله كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حُظَّهُ مِنَ الزَّانَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ..." رواه مسلم. ولكن الله جعل للعبد مخرجاً مما وقع فيه من الذنوب ومحاة بالذنوب والاستغفار، فإن فعل فقد تخلص من شر الذنوب، وإن أصر على الذنب هلك. - عوامل تساعد على التخلص من المعصية: هناك عوامل تساعد المسلم على التخلص من المعصية مهما يكن نوعها، ومن تلك العوامل: الصلاة والسجود الله سبحانه وتعالى بخشوع القلب والجوارح، وكذلك الدعاء بأن يتوب الله تعالى عليه من كل المعاصي، والدعاء هو أعظم علاج للمذنبين، وهو الذي يساعدهم على الرجوع الله سبحانه وتعالى بصدق وأمانة، قال الله سبحانه وتعالى: (أَمْ مَن يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (النمل/ 62). وكم من رجل وامرأة كانا يجدان صعوبة في ترك بعض الذنوب، ولكن لما لجأوا إلى الله عز وجل وجدوا التوفيق والعون. ومن أفضل أوقات الدعاء أثناء السجود، قال رسول الله (ص): "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. فأكثرُوا الدعاء) صحيح مسلم. المجاهدة والإرادة القوية، فإن ترك المعصية لا يكون بين يوم وليلة، بل يحتاج إلى إرادة قوية وصبر ومجاهدة الهوى، وإن تلك

